استمارة المشاركة

اسم الباحث: عاشور **لقبه:** سرقمة

المؤهل العلمي: دكتوراه **الرتبة:** أستاذ محاضر (أ)

التخصص: اللغة والأدب العربي **الوظيفة: عميد كلية الآداب واللغات.**
مدير مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري بجامعة غرداية

الجامعة: جامعة غرداية **المدينة والبلد:** غرداية، الجزائر

الهاتف المحمول: 00213774625586
البريد الإليكتروني: sergmaachour@yahoo.fr

لغة العرض: اللغة العربية

المحور: الأول.

عنوان المداخلة:

في سبيل استراتيجية علمية وأكاديمية للمحافظة على التراث الشفوي بالجنوب الجزائري.

ملخص المداخلة:

إن المتأمل في واقع التراث الشفوي بالجنوب الجزائري، يرى أنه بحاجة ماسة إلى استراتيجية علمية وبحثية؛ للعناية به والتعريف به محلياً وعالمياً، واستثماره في جميع المجالات ذات الصلة بالموروث الثقافي بعامة.

وإننا لا نُنكر أن هناك جهوداً تبذل في مختلف الجامعات الوطنية، سواء في المخابر وفرق البحث، أو البحوث الفردية التي يقوم بها بعض الباحثين والمهتمين بهذا الموروث الثقافي، ولكن ما يُلاحظ على تلك الجهود هو أنها تفتقر لمنهجية تحتويها وتضبطها، من أجل تثمين النتائج المتوصل إليها؛ وتقديم خدمة فاعلة يمكن أن تصل إلى جمع هذا التراث وتدوينه؛ بالتنسيق بين الباحثين والدارسين والمهتمين بهذا المجال، نقول جمعه لأن أغلبه للأسف الشديد ما يزال شفوياً مروياً محفوظاً في صدور الحُفاظ، ونحن نعرف الخطر الذي يتهدد التراث غير المدون والمسجل، خصوصاً أن الوسائل التقنية الحديثة اليوم توفر عدة وسائل ووسائط؛ يمكن من خلالها تقديم خدمة نوعية لهذا التراث.

وهو ما سنحاول طرحه في مداخلتنا؛ التي ستخلص بحول الله إلى عدد من التوصيات؛ يُمكننا الوصول بوساطتها إلى إنقاذ هذا التراث؛ إذا ما وجدت السبيل إلى التنفيذ على أرض الواقع.

نص المداخلة:

تزخر مناطق الجنوب الجزائري بكم هائل من الموروث الثقافي الشفوي، ولا يختلف اثنان حول أن هذا الموروث ما يزال بحاجة إلى تدوين وتسجيل وجمع وتصنيف وإشهار وتعريف واستثمار وتسويق، ولا يتأتى ذلك إلا إذا شعرنا بالمسؤولية الملقاة على عواتقنا تجاهه جميعاً، ولا بد من الشعور بداية بما يمثله لنا، ومن ثم الإحساس بضرورة إنقاذ ما تبقى منه خشية ضياعه كلية، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا تأكدنا بأنه يشكل جزءا لا يتجزأ من شخصيتنا وهويتنا وماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

ولابد من أن نتوقف في البداية عند تحديد مفهوم التراث الشفوي، وهو أيضاً المسمى بـ: أدب العامة التقليدي أو الأدب الفلكلوري أو الفنون والمأثورات الشعبية، « ...وهكذا عندما ننظر في الآداب الشعبية التقليدية نجد أنها تتلاقى في قسمات رئيسية وتمتاز بها على آداب الفصحيات وتلك هي: العراقة والواقعية والجماعية والتداخل أو التوظيف مع فروع المعارف والمعتقدات والممارسات الجارية في حياة كل يوم...»[1].

والموروث الشفوي هو ما أسمته الدكتورة نبيلة ابراهيم بأشكال التعبير الشعبي.

وتزخر مناطق الجنوب الجزائري بعديد الموروثات الشفوية منها: الأمثال الشعبية، الشعر الشعبي، الألغاز والفوازير، الأغاني الشعبية، السيرة الشعبية والأسطورة والأعراف، وأسماء الأماكن والتأريخ الشعبي... وغيرها من الأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى.

فإذا تحدثنا مثلاً عن الشعر الشعبي فإننا نجده يَطرح عدة قضايا ومشكلات علمية لعلَّ أهمها هي مسألة تحقيقه، هذا الشعر الذي قد يكون مجموعاً في دواوين خاصة، وقد يكون متناثراً هنا وهناك في كنانيش ومخطوطات ومُصنفات، وقد يكون بعضه شفوياً؛ مما يتطلب من الباحث القيام بتدوينه من أفواه الرُّواة والحفاظ، ثم جمَع الروايات ومقابلتها، وهي عملية على درجةٍ عاليةٍ من الخطورة والصعوبة في الوقت ذاته.

أمَّا فيما يخص القصائد المكتوبة ففي كثير من الأحيان لا يحصل المحقق إلا على نسخة واحدة من القصيدة؛ ولا يكاد يجد أي نسخة أخرى لمقابلة النسخة الأولى بها؛ بُغية

الوصول إلى عملية التحقيق الدقيقة التي تقتضي توافر على الأقل نسختين لنفس النص؛ وكل ذلك بهدف الوصول إلى النص الأصلي كما كان يتصوره مؤلِّفه.

تجربتنا الشخصية في قسم اللغة والأدب العربي بغرداية

وقد قادتنا تجربتنا المتواضعة في جمع وتدوين الشعر الشعبي في ولاية أدرار ـ هذه التجربة التي امتدت حوالي 13 سنة وما تزال مستمرة ـ استطعنا فيها جمع عديد الأشعار لشعراء مثل: سيدي محمد بن المبروك، نانا عائشة، سيدي أحمد زروق، امبارك بن الزروق، الشيخ عبد الحق البكري، عبد العزيز المهداوي، امعمري بحوص، ولد سيد الحاج القبلاوي، والشلالي، وبعض الشعر الجماعي الخاص بآهليل.

وقمنا بتحقيق ديوان الشاعر الكبير سيدي محمد بن المبروك البودوي (ت 1195هـ). يضم ديوانه قصائد في الشعر الشعبي وأيضاً الشعر الفصيح، عدد صفحات هذا الديوان حوالي 193 صفحة، عدد القصائد الملحونة أو الشعبية ستة عشر (16) قصيدة، أما الفصيحة فعددها ثلاثة وعشرون (23) قصيدة.

والواضح أن عدداً من قصائدة الملحونة قد ضاعت، وقد رُوى أن ما أبدعه من قصائد ضاعت جميعها، وهي أول مشكلة واجهتنا، وذلك كله بسبب الشفوية.

ومن أهم المشكلات التي واجهتنا في التحقيق:

- 1ـ مشكلة الحصول على نسخ أخرى للمقابلة بها وقد تكون هناك قصائد أخرى مروية غير مدونة.
- 2ـ نسبة القصائد إلى الشعراء خاصة إذا لم تُوَقَّع من طرف الشاعر، مثل قصيدة ''الفرقليط'' التي نسبناها للشاعر ثم عدلنا عن ذلك بعد مدة.
- 3ـ وضع عناوين للقصائد.
- 4ـ بعض النصوص التي رُويت لنا بقيت مبتورة بسبب نسيان الراوي لبقية النص.

5ـ وجود بعض القصائد التي لا يُعرف صاحبها، وعدم العثور أحياناً لتراجم بعض الشعراء.

وقد كانت لنا تجربة متواضعة في هذا المجال مع طلبتنا في قسم اللغة والأدب العربي بجامعة غرداية، فقد سَعَى مجموعة من الطلبة في مذكراتهم لجمع دواوين مجموعة من الشعراء المحليين الشاعر قدور بلخضر بيتور، ثم أشرفنا على مجموعة أخرى اهتمت بشعر الشاعر عبد القادر بن الشُّرع، واختار هذه السنة ثُلَّةٌ من الطلبة شعر الشاعر ''أحمد هيبة'' (المدعو بهينيسه) ومجموعة أخرى الشاعر ''شبير جلول''، وأخرى الشاعر ''علي بن حسن أولاد امبارك اليحياوي''. ووقع اختيار مجموعة أخرى على شعراء من مدينة تماسين؛ وهم الشاعر ''السايح حقي'' و''عباس ''و''بشير قيطون'' واختارت طالبة في بحثها شاعر الغزل ''الشلالي''. دون أن ننسى الجهد الكبير الذي قدمه الأستاذ يحيى حاج امحمد في تحقيقه لديوان الغريب عمر بن عيسى البرياني.

أما الأمثال الشعبية والألغاز والحكايات، فقد حظيت باهتمام متميز لدى الباحثين والدارسين إلا أن أغلبها لم تر النور ومن بينها البحث الذي قمنا به في هذا المجال بعنوان: أمثال شعبية في ولاية أدرار، وأيضاً كتاب بعنوان '' الذاكرة الشعبية''.

وقد كانت لنا تجربة برنامج بإذاعة أدرار الجهوية بين 2003و 2005 بعنوان '' حكايات شعبية '' ولقي هذا البرنامج إقبالاً وإعجاباً كبيرين من طرف السادة المستمعين، واستطعنا من خلال أن نكتشف زخم المنطقة بهذه الحكايات، وتمكنا أيضاً من تسجيل عدد كبير منها خلال لقاءاتنا مع بعض الحُفاظ والرواة؛ من مختلف أنحاء الولاية، بعضهم ما يزال حياً وبعضهم رحل عن هذه الدنيا.

وقد أحصينا بالجنوب الجزائري بعض الجهود التي اهتمت بالشعر الشعبي مثل: كتاب شعراء ذوي منيع الشعبيون لبركة بوشيبة وتحقيق لدواوين بعض الشعراء الآخرين مثل تحقيق ديوان سيدي أحمد بلحرمة البرياني...وبسبب عدم التعريف بهؤلاء الشعراء وجدنا عديد الدراسات الوطنية والعالمية لم تذكر الكثير منهم، وهو ما نجده مثلا في ديوان البابطين ومعجم شعراء الشعر الشعبي في الجزائر للدكتور العربي دحو وغيرها من الدراسات الأخرى.

والأمر نفسه يمكننا قوله بالنسبة للأمثال الشعبية التي ضاع منها الكثير، وقد أحصينا مثلاً في منطقتي توات وغرداية أكثر من 1000 مثل شعبي نذكر هنا بعضها:

" مَرْحْبَا بَاللِّي جَا أُو جَابْ[2]وَاللِّي مَاجَابْ مَا عَنْدُو اوْجَابْ[3] "

و نلاحظ السجع جلياً في هذا المثل الذي يضرب للمزاح فقط لأن من عادة أهل المنطقة الكرم و الإحسان إلى الضيف. و نلاحظ إضافة إلى السجع استعمال المشترك اللفظي في كلمة

(أوجاب) التي تعني في الاستعمال الأول (أحضر معه شيئاً)وفي الاستعمال الثاني بمعنى (الجواب) أي نرحب بمن أحضر شيئاً معه ومن لم يحضر شيئاً لا نجيبه و لا نرحب به

" السَّاكَتْ تَحْتُو[4] نَابَتْ "

عادة سكوت الشخص يشكل نوعاً من الحيرة فمن يتكلم نستطيع معرفة موقفه و رأيه أما الساكت فلاشك أنه يجمع و يخطط لأمر قد يكون قنبلة يحطم بها جدار الصمت المحيط به ونلمس ذلك في قولهم تحتو نابت التي نلمس فيها غياب الفاعل للفعل نابت ولكون هذا الشخص يلتزم الصمت فكذلك لم يكن ليعلم ماذا ينبت تحته من نبات .

"لاَ تَامَنْ الشْتَا حَتَّى تْفُوتْ[5]أُولاَ تَامَنْ عْدُوَّكْ حَتَّى يْمُوتْ"

نلمس التشبيه التمثيلي واضحاً في هذا المثل فالصورة الأولى هي(لا تامن الشتا حتى تفوت)ففصل الشتاء لا تأمن ثلوجه وعواصفه وأمطاره وبرقها ورعدها وغيرها من مظاهر الشتاء إلا إذا انتهت الشهور المخصصة له ؛ وبالمقابل عليك ألا تأمن عدوك حتى يصبح في عداد الموتى فمادام حياً يمكن أن يتربص بك الدوائر فإذا مات كفيت شره و مكره .

" النَّارْ شَبْعَتْ مَنْ لَحْطَبْ ":

فمن المعروف لدينا أن النار أبداً لا تشبع من الحطب فهي دائماً تقول: هل من مزيد؟ لذلك يضرب هذا المثل للشخص يتصرف تصرفاً مخالفاً لما ألف عليه لذلك يضرب هذا المثل بهاته الصورة معكوسة المعنى لتبعث الخيال على التفكير في هذه الصورة التي تخالف وتعكس ما ألفناه

" ابْلِيسْ يَنْهِي عَالْمُنْكَرْ"

و هو شبيه بسابقه فإبليس كما عاهدناه دائماً يأمر بالفحشاء و المنكر و أوتي بهذه الصورة على هذا الشكل لتحقيق ما أسلفنا ذكره .

" اللِّي فِيهْ الشَّوْكَه هُو إِيْحَوَّسْ[6] عْلَى المُنْقَاشْ[7] "

أي من أصابته الشوكة هو الذي عليه البحث عمن يخلصه منها باستعمال الآلة المخصصة لذلك لأنه لا أحد يعرف أنه قد أصابته هاته الشوكة . إضافة الى كونه هو المتألم الوحيد من ضررها. و يضرب هذا المثل للشخص يتعرض لمشكلة فعليه البحث عمن يساعده في إيجاد حل لها و استعمال الشوكة في هذا المثل مستقى من طبيعة المنطقة الذي توجد بها أشجار النخيل الممتلئة شوكاً أما (المنقاش) فهو تعبير عن آلة تقليدية مستعملة محلياً. و نلاحظ في كل ذاك توظيف الثقافة المحلية .

" اللِّي مَا ايْغِيرْ وَ الاَّ ايْحِيرْ دْوَاهْ[8] النْحِيرْ"

فالمطلوب من الإنسان العمل و الجد الذين قد يكون الدافع لهما هو الغيرة أو الحيرة من شيء متقن رأيناه فمن لم يقم بذلك فإنه لا يجد دافعاً للعمل و بالتالي فليس له دواء يشفيه مما هو فيه إلا النحر كما ينحر الجمل و التخلص منه لأن موته خير من حياته .

" غِيرْ أُولاَ تَحْسَدْ "

لأن الإنسان عندما يغير كما أسلفنا الذكر قد يكون دافعاً له لتحقيق أحسن مما رأى لكن عليه ألا يحسد لأن الحسد هو الرغبة في زوال النعم عن الغير و هذا مخالف لما يدعو إليه ديننا الحنيف.

" اللِّيْ دَارْهَا[9] بِيدِيهْ إِيحَلْهَا بْسَنِّيهْ[10] "

أي من قام بعمل فعليه أن يتحمل كل عقباته و هو شبيه للمثل العربي الشهير (يداك أوكتا و وفوك نفخ) و قصته

و مضربه معروفين.

أما الأغاني الشعبية فهي أيضاً متعددة بماطق الجنوب الجزائري، ولكنها هي أيضاً تشهد تراجعاً كبيراً في الاهتمام بها وتداولها، بسبب دخول الأغاني الحديثة المرتبطة بالتكنولوجيات الحديثة التي جلبها إلينا تيار العولمة.

وترافق الأغاني الشعبية الإنسان منذ ولادته إلى مرحلة الختان والنفاس والأعراس والوفاة وغيرها من المظاهر الأخرى التي يتميز بها الجنوب الجزائري، والحقيقة أن الواحد عندما يرى تلك المشاهد ويسمع تلك الأغاني يتملكه السرور، فمثلا عندما يجد مجموعة من النسوة يفتلن الكسكسي فيما تسمى محليا في بعض المناطق بعملية " التبركيش " وأفواههن تؤدي أغنية من الأغاني الشعبية في نسق عجيب ولحن مميز وكأنها أركسترا باشرت تحضيراتها منذ أمد بعيد؛ لتقوم بعرض هذه اللوحة الفنية الرائعة جدا في هذا الوقت بالذات[11].

وترتبط بالأغاني الاحتفالات الشعبية التي تعتبر منجماً لعديد العادات والتقاليد والأعراف، منها ما تسمى بالزيارة أو الوعدة مثل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وأسبوع المولد كذلك كما هو الحال بمنطقة تيميمون، وأيضاً بعض الاحتفالات الدينية التي تقام لبعض الأولياء الصالحين في الجنوب الجزائري، مثل: ركب سيد الشيخ بمنطقة الأبيض سيد الشيخ الذي صنف ضمن التراث العالمي، واحتفاليات أخرى ترتبط بمناسبات اجتماعية أو اقتصادية منها على سبيل المثال: السبيبة بمنطقة جانت وركب الحجيج والاحتفال بحفظة القرآن الكريم.

وتُعتبر الحكايات الشعبية من بين أهم العناصر الأدبية الشعبية التي تشهد عزوفاً كبيراً من طرف الأجيال المعاصرة، بسبب التجاء كثير من الأطفال ـ على سبيل المثال ـ إلى وسائل الإعلام خاصة المرئية، التي أصبحت تضم في باقاتها عديد القنوات التي تقدم برامج للأطفال؛ واحتلت مكان تلك الجلسات الحميمة التي كانت تعقدها الأسر والعائلات خاصة في ليالي الشتاء الباردة؛ حول موقد للنار؛ أو قدر الحساء، ويستمع الأطفال للحكايات التي تُروى من طرف الجد أو الجد؛ أو الأب أو الأم أو غيرهم من الكبار في العائلة، لما يمتلكونه من خبرة في الحياة، وغالباً ما يكون موضوع الحكاية متناسباً مع حدثٍ وقع في ذلك اليوم، وتجتمع العائلة صغيراً وكبيراً، الابن بجانب والده، والبنت بجانب أمها ويجتمع الجميع مع بعض، وقد تناقش في هذه الجلسات بعض القضايا التي تخص العائلة، على ضوء الحكم والعِبر المستشفة من تلك الحكاية أو الحكايات.

وليس كما هو الحال اليوم، حيث لا يلتقي الابن مع والده ـ في الغالب ـ إلا في رواق البيت، أو إذا جلسا مع بعضٍ فإنهما لا يُحسنان اختيار موضوع يتناقشان حوله، وكلٌّ في غرفته في عالم غير العالم الذي يوجد فيه باقي أفراد العائلة، خاصة إذا كان لكل طفل غرفته؛ مزودة بتلفاز وجهاز إعلام آلي مربوط بشبكة الأنترنيت، ففي هذه الحالة قد تعجز الأم عن تنشئة أبنائها تنشئة صحيحة وسليمة، لأنهم وببساطة عندما يدخلون إلى غُرفهم لا تستطيع السيطرة عليهم، ومعرفة ما يقومون به بالتحديد.

أما الجَدُّ والجَدَّةُ أو الكبار في العائلة، والذين كانت لهم أدوار محورية في الحَلِّ والعَقد، ويُرجع إليهم في كل المشكلات، فقد هُمِّشوا؛ وأصبحت كثير من العائلات لا تَعتد بآرائهم، ولا تستشيرهم؛ وتكتفي فقط بإطعامهم كأنهم أطفال صغار.[12]

ومن تلك الحكيات المتوارثة في الجنوب الغربي مثلاً: **حكاية "المكتوب ما منه هروب"**

« كان يا مكان هناك رجل إلتقى إمرأة و كانت حاملا فأدخلها بيته و لما وضعت إبنة، طلبت منه تلك المرأة أن يحضر لها بعض الأغراض من السوق و عند باب البيت وجد رجلا فسأله الرجل، هل وضعت تلك المرأة مولودها فقال: نعم قال له ماذا أنجبت: قال: بنتا فقال له: أبشر فإن تلك البنت سترتكب المعاصي مع العديد من الرجال ثم تزوجها، و إنها ستموت بلسعة عنكبوت، فلما سمع هذا الخبر ذهب مسرعا إلى تلك الطفلة الصغيرة و ضربها بسكين كي يتخلص منها و هرب خارج البلاد و سكن مكانا بعيدا جدا، حتى لا يصل إليه أحد .و مرت الأيام و كبرت البنت لأنها لم تمت لما ضربها، و ارتكبت من المعاصي ما كتب الله، و سافرت هي كذلك، و شاء الله لها أن تنزل بالمدينة التي كان يسكنها، و ذات يوم جاء عند إمرأة عجوز و عبر لها عن نيته في الزواج و طلب منها أن تختار له زوجة مناسبة، فأخبرته أن هناك فتاة قدمت منذ أيام، و هي شابة على قدر من الجمال، فذهب و خطبها و تزوجها و في ليلة من الليالي و كعادة الأزواج في الأيام الأولى من حياتهم شرعا يستعيدان ذكرياتهما، و فجأة شرع الزوج في الضحك فتعجبت زوجته من ذلك و سألته عن سبب ضحكه فأخبرها بقصته كاملة من المرأة و الفتاة الصغيرة، ففاجئته قائلة: أنا هي الطفلة التي طعنتها فإنني لم

أمت و ها أنت قد تزوجتني بعدما إرتكبته من المعاصي، فتعجب من ذلك و قال لها: مادام الأمر هكذا فإنني سأسكنك قصرا ليس فيه مكان تدخل منه أي عنكبوت تلسعك، لكن المكتوب كان أقوى منه، فذات يوم وجد عنكبوتا في ركن من أركان البيت فقالت له ناولني العصا حتى أقتلها، فلما مدت يدها للعنكبوت فلسعتها بين أطرافها و هكذا ماتت و كان فعلا المكتوب ما منه هروب».

وهناك أيضاً بمناطق الجنوب الجزائري الكثير من الروايات الشفوية والأساطير كأسطورة بنت الخس بمنطقة المنيعة والبيض، والقصص التي تروى حول الأولياء الصالحين مما تدخل ضمن ما تعرف بكرامات الأولياء، كشخصية سيدي عبد القادر الجيلالي مثلاً، وقصة سيدي بوقبرين وقصة سيد المستجاب وغيرها، وقصة لالة عشو بمنطقة غرداية، التي سميت باسمها ساحة السوق الواقع وسط قصر بني يزقن بولاية غرداية ، ولهذا الارتباط قصة تُروى محلياً فحواها أن هذه المرأة كانت امرأة صالحة، وكانت قد قامت بحفر بئر في ساحة تملكها، وذات يوم نزلت كعادتها للحفر، وكانت منهمكة في عملها إلى حد غفلتها عن الوقت، وبعد أن صعدت من البئر وجدت أن وقت صلاة المغرب (وقيل العصر) قد فاتها، فتأسَّفت كثيراً لهذا التضيع غير المعهود؛ وأرادت أن تُكَفر عنه، فتبرعت بتلك الساحة لصالح العامة (وَقْف)، فسميت بـ: " ساحة لالة عشو"، وهي حالياً تحت إشراف المسجد؛ يتوسطها ذلك البئر، وتُستعمل للبيع بالمزاد العلني لبيع الأثاث التقليدي والمنسوجات، وطريقة البيع هذه شبيهة بعمل البراح في الأسواق الشعبية والمعروف بحكمته وقوة صوته وحيويته التي يُبهر بها الحاضرين ويُغريهم بشراء ما يعرضه للمزايدة باستعمال عبارات ما تزال تحتاج إلى جمع ودراسة قبل أن تزول بمرور الأيام.

أما التأريخ الشفوي خصوصاً لبعض المعالم والأماكن التي أصبحت الأجيال الحالية لا تعرف إلا رسومها، وغابت كل تلك القصص والروايات التي ارتبطت ببنائها وتعميرها والحضارات والقبائل المختلفة التي مرت بها، مما يجعل الكثير من أفراد الأجيال الحالية منفصمة عن جذورها وتاريخها الذي يدفعها إلى حب الوطن والغيرة عليه والذود عنه.

وتوجد كذلك أسماء الأماكن، فالكثير من الأماكن لها تسميات مختلفة ـ خصوصاً العتيقة منهاـ سواء كانت عربية أو أمازيغية أو حتى أجنبية ما تزال تنتظر أن تمتد إليها أيادي

الباحثين والمتخصصين، وذلك لاكتشاف الخلفيات المختلفة الدينية أو التاريخية أو العرقية... التي تم الارتكاز فيها على إطلاق تلك التسميات، وتتبع كيف تغيرت أسماء بعض الأماكن، ومعرفة أول من سماها وغيرها من القضايا الأخرى التي أصبحت اليوم تدرس ضمن ما يسمى بـ" علم أسماء الأماكن" أو " الطبونيميا" أو " المواقعية".

ونجد في مناطق الجنوب الجزائري أيضاً تنوعاً في اللهجات، فهناك التارقية والزناتية والحسانية والشلحة والمزابية، وغيرها إضافة إلى العامية الجزائرية التي أصبحت كلها حاملة لهوية وفكر وتاريخ لا يمكننا أن ننفصل عنه.

ولابد من الإشارة إلى أن كثيراً من عناصر التراث الشعبي عندنا ـ خاصة في الجزائر، وتحديداً في الجنوب الجزائري ـ ما تزال تعاني من مشكلة الشفوية التي جعلت كثيراً من تلك العناصر التراثية تَضيع بسبب عدم تسجيلها وتدوينها، لذلك فنحن نهيب بالباحثين والدارسين للاهتمام بهذا الجانب؛ وإنقاذ ما تبقى من هذا التراث الأدبي الشعبي بتدوينه وتحقيقه ودراسته وتحليله، لأنه جزء من ذاكرتنا وتاريخنا بل ومن شخصيتنا .

وقد قال أحد المستشرقين الألمان، وهو (هانس ستيم) Hans Stumme:

« إن العرب المغاربة لم يهتمُّوا إلاَّ قليلاً بتُراثهم الشَّعبي في شعره ونثره، رغم أنَّهم يملكون إنتاجاً أدبياً رائعاً. لذلك فإنَّ الكثير من هذا الإبداع ـ خصوصاً منه الشِّعر ـ سينتهي به الأمر ـ إنْ عاجلاً أو آجلاً ـ إلى الضَّياع في أعماق مُحيط النِّسيان... »[13].

وهو أيضأ ما اعترف به الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حيث قال: « الذي علمناه وحفظناه في مبدإ تطور الشعر والانتقال به من اللغة الفصحى إلى اللغة العامية، كان يرجع إلى أوائل عهد حلول الهلاليين بإفريقيا، وهي تشمل تونس وما نسميه اليوم بالجزائر، إلى حيث انتهت الغارة الهلالية قريباً من مدينة تلمسان، وقد كان للغة البربرية شعر لم يصلنا منه شيء لعدم التدوين. كما أن الشعر العامي في العربية الذي استبحر فيما بين القرنين 12 و13 يندثر للعلة نفسها وهي عدم التدوين، وإن فيه لبدائع لا يليق بها الإهمال، وقد ضاع بعضها ولم يبق إلا القليل مما يحفظه الحفاظ ويروونه، وهذا أيضاً مُعرض للزوال لعدم العناية به، وقد أدركنا جماعة يحفظون العجائب من هذا النوع من الشعر ولكنه مات بموتهم »[14]

ومنه فرغم ما لاحظناه من زخم كبير بمناطق الجنوب الجزائري بالموروث الشفوي، إلا أنه في نظرنا لم يحظ بالأهمية التي يستحقها لأسباب نعتقد أن منها:

ـ عدم وجود إرادة قوية من طرف الهيئات المختلفة الثقافية مثل دور الثقافة والجمعيات الثقافية، وكذا الهيئات الجامعية الأكاديمية فرق ومخابر ووحدات البحث المختلفة خصوصاً وأن الحمد لله اليوم في كل ولاية جامعة ومديرية ثقافة.

ـ أيضاً من أسباب عدم الاهتمام بهذا الموروث الشفوي وهي النظرة الدونية ونظرة الاحتقار والازدراء التي ما يزال ينظر بها لهذا التراث، من متعلمين ومثقفين للأسف وأننا لم ندرك بعد للأسف أنه جزء من هويتنا وثقافتنا وشخصيتنا وماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

ونظر لوجود تلك الأسباب وغيرها غابت الاستراتيجيات الجادة خصوصاً من الهيئات العلمية والأكاديمية.

وفي ظل عديد مخابر البحث وفرق البحث ومديريات الثقافة الولائية والجمعيات الثقافية والمهتمة بهذا المجال، فنرى أنه بات من الضروري قبل أي وقت مضى، التفكير بجد في استرتيجية علمية وأكاديمية محكمة

ولذلك نقترح مجموعة من **التوصيات** منها:

ـ التفكير الجاد والعاجل في ضرورة إنقاذ واستثمار ما تبقى من موروثنا الشفوي في مناطق الجنوب الجزائري.

ـ تثمين الجهود المطبوعة بالتعريف بها وإعادة نشرها ورقيا وإليكترونيا لتعميم الفائدة.

ـ تسطير استراتيجيات للتدوين والتسجيل على المستوى القريب والمتوسط والبعيد.

ـ التعريف بالموروث الشعبي الشفوي محلياً ووطنياً وعالمياً.

ـ توظيف هذا الموروث الشفوي في الأعمال الأدبية مثل الرواية والقصة والمسرحية لضمان استمراره، واستثماره معرفياً (مثل ما هو في رواية "مملكة الزيوان" لحاج أحمد الصديق ورواية "تيميون" لرشيد بوجدرة....).

ضرورة العمل ضمن فرق بحث لضمان العمل الجماعي، الذي يمكنه الحصول إلى نتائج ـ في اعتقادنا ـ أكثر من العمل الفردي.

ـ ضرورة الاستفادة من تجارب بعض الدول التي سبقتنا في هذا المجال مثل مصر والأردن والمغرب وتونس والإمارات والكويت وغيرها.

هوامش البحث:

[1]/ أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1971، ص:17.

2 - أي بمعنى أحضر معه شيئاً

3 - أي جواب، نلاحظ في هذه الكلمة قلباً مكانياً بين حرفي
(الجيم) و (الواو)

4 - تحته.

5 - تمر بسلام

6 -يبحث

7 - أداة تقليدية تشبه الملقط المستعمل في عمليات الجراحة تستخرج به الشوكة من الموضع الذي أصابته

8 - أصلها دواؤه

9 - أي قام بعمل

10 -أصلها أسنانه

[11]/ أنظر: عاشور سرقمة الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات: مدخل للذهنية الشعبية، دار الغرب، وهران الجزائر، 2004، ص:

[12]/ الثقافة الشعبية في مناطق الجنوب الجزائري، أشغال ملتقى الثقافات الشعبية، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 2011، ص:

[13] / سونك، الديوان المُغَرَّب في أقوال عرب إفريقية والمَغرب، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، (مقدمة الكتاب).

[14]/ محمد البشير الإبراهيمي، التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر، تح: عثمان سعدي، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2010، ص: 25.